وهذه الدودة التي تصيب غير شجرة القشطة كالليمون والعنب يمكن اتلافها بان يُطلى الثمر بمزيج من عصير التبغ او البترول او كبريتات الحديد او كبريتات النحاس وكيفية طلائه ان تأخذ صمامةً من الخرق تبلها بالمزيج فتطلي بهـا الثمرة او تنضحها بمضخّة صغيرة. ومن الوصفات الحسنـة ان تمزج ٨ ليترات من البترول باربعة ليترات من الماء و١٧٥ غراماً من الصابون فتسخن اوّلاً الماء المزوج بالصابون حتى اذا غليا تصبُّهما في البترول وتمزجهما مزجًا حسنًا فترى على وجه المزيج دغوة كالزبد تتكاثف اذا بردت. فهذه الزبدة حسنة لقتل الدودة المذكورة. وان اردت استعمالهـا تصبّ عليها ماء باردًا فتنضحهُ على الشجرة

شجرة القشطة وثمرها

وفي الختام نوصي ارباب الزراعة بان يغرسوا في بساتينهم محـلًّا لشجرة القشطة ألم يغرسوا منها عددًا وافرًا فتأتيهم في اواخر الخريف بثمر طيب يأكلون منهُ وينتفعون بأرباحه

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٦

وكانت اجراس الكنائس في مدينـة جبيل تدقّ طول النهار والناس في الشوارع والأزقّة الضيقة بين ذهاب ومجيء متواصلين وكلهم بملابس العيـد وهم يزدحمون في ساحات البيع وأفنيتها

وكان ذاك النهار موافقًا لعيـد انتقال السيدة العذراء. وقد جرت في مساء اليوم الذي قبلهُ زينات وتنويرات بهيجة وخصوصاً في قمم الجبال القريبة وجميع اديار الرهبان وكل الكنائس الشيدة على اسم البتول

وهذا العيد كما لا يخفى هو مكرَّم ومعظَّم جداً عند اللبنانيين غير انهُ في تلك السنة اكتسى رونقاً خصوصياً لم يكن لهُ في ما مضى وكل ذلك بسبب وجود فرا غريفون في المدينة. فان نائب الكرسي الرسولي المشار اليهِ احبَّ قبل ان يركب البحر من بيروت قاصداً رومية ان يقف في جبيل مدة قصيرة ويعظ مساء عيد السيدة في الكنيسة الكبرى المشيَّدة على اسم القديس يوحنَّا

وهذه الكنيسة ترتقي الى عهد الصليبيين وكانت في القرن الخامس عشر باقية على طولها وهندستها الاصليين غير ان الذين تولوا ترميمها بعد ذاك قد احدثوا فيها بعض التغيير (١ وكانت مقسومة الى ثلاثة اسواق واسعة ذات دعائم كبيرة وعند الباب الشرقي قبَّة للعمودية انيقة فكانت في ذاك الزمان اعظم بل اجمل هيكل في جبل لبنان الذي لم يكن فيهِ شبيه لهذه الكنيسة سوى كنيسة قرية معاد (٢ على ان هذه اذا كانت تشبهها من حيث الاناقة فقد كانت تقلّ عنها اتساعاً وبهاءً

وقبل ان يحلّ زمان الوعظ كانت قد غصَّت تلك الاسواق الثلاثة بالناس المتوافدين من عشيت وادّه وبحديدات وبلاط والبوار وبرجا وسائر القرى القريبة لاجل استماع كلمات فرا غريفون الذي كان الجميع في جبل لبنان يعرفونهُ ويجلونهُ. حتى ان اسمهُ كان أشيع بينهم من اسم الاب يوحنا رئيس دير القديسة تقلا لان هذا الاخير لم يكن يتذكرهُ سوى المتقدمين في السن بخلاف الراهب الفرنسيسي الموما اليهِ فانهُ قد اتى اعمالاً عظيمة في لبنان واحبَّ سكانهُ حباً فائقاً وقد طالما دافع وحاجَّ عنهم في اوربة وعلى الخصوص في رومية (٣ وكان الكل يعرفون ذلك ويتعجبون من فضيلتهِ واستقامة طباعهِ وسعة علمهِ. وكان يعرف اكثر لغات الشرق مثل اليونانيَّة والسريانيَّة والعربيَّة اما العربيَّة فكان يعبّر فيها بسهولة عظيمة عن افكارهِ ومقاصده الا انهُ كان في لهجتهِ شيء ينبئ بكونهِ غريباً عنها

ولما اجتمع الشعب في الكنيسة اخذوا ينتظرون بذاهب الصبر وفود واعظهم المحبوب ليسمعوا كلامهُ. اما الشاب عبد المنعم مقدَّم جبيل وابن اخي الامير رزق الله (٤

١) المشرق ٣: ٢٥١ و ١٠٢١ ٢) المشرق ٣: ١٠٢٢

٣) فرا غريفون ولبنان (المشرق ١: ١٢٤)

٤) تاريخ الدوجي ص ١٦٠

فابى ان يشارك الشعب في تقواه وبقي في قصره متشاغلاً بالشراب مع بعض رفقائه في لهوه. وكان المذكور واجداً على فرا غريغون لسببين الاول كونهُ صديقاً لعمه الامير رزق الله والثاني ترهمهُ فيه انهُ هو الذي اعلم الامير باتخاذه اليعاقبة تحت كنفه وحمايته. وكان وقتئذٍ يراسل جوسلين ويخشى من فرا غريغون ان يطلع على اسرار مراسلته ويعلن خيانتهُ

غير انهُ في يوم ذاك العيد العظيم ابى الّا ان يبرح بيتاً كنَّ صدرهُ من التفاق وقلّة الاحترام للدين فاجاب الذين كانوا يدعونهُ الى الكنيسة لسماع خطبة فرا غريغون بقولهِ: ان الكلام لا يجدي ولا يفيد شيئاً وان كان واعظكم رجل تقوى فقولوا لهُ ان يصنع المعجزات

وكان يظن انهُ نطق بعبارة تدلّ على ذكاء وتوقد ذهن. وما كان كلامهُ في الحقيقة غير شاهد على وقاحتهِ وسلاطة لسانهِ. وعلى إثرها جلس للشراب مع رفقائهِ وندمائهِ

وفي تلك الاثناء كان فرا غريغون قد شرع في الكرازة بكنيسة القديس يوحنا وجعل موضوع كلامهِ شرف العذراء القديسة وما اختصَّها بهِ الله من النعم والمواهب واطنب في ذلك طويلاً لانهُ كان يلتذّ بهذا الموضوع الذي كتب فيهِ مجلّداً برمَّتهِ (١. اما الشعب فكان يسمع الوعظ بشوق وسرور ومع ما كان وقتئذٍ من شدة الحرّ لم يتحلحل احد من مكانهِ بل كان الجميع راغبين في الاستزادة من ذاك الكلام الشهي. وبعد ساعة من الزمان كانت الشمس قد مالت الى المغرب مرسلةً اشعتها الى داخل الكنيسة من باب السوق الكبير الذي تُرك مفتوحاً

اما عبد المنعم الذي كان حتى الوقت المذكور مستمرًّا على الشراب واللهو مع رفقائهِ فنهض فجاءةً وقال:

— هلمَّ بنا ايها الاصحاب نذهب الى الكنيسة تفنُّناً في أنواع المسرّة. وليس كل يوم عيد السيدة وفوق ذلك لا يجمل ان يتوهَّم بنا الناس اننا نتهيَّب فصاحة فرا غريغون

فعندما ضحك الكل مقهقهين وصوَّبوا رأيهُ ومضوا وما كان غير قليل حتى وصل عبد المنعم الى باب الكنيسة مع ثلاثة من رفقائهِ فشقّ غابة الجمع المزدحم وتوجَّه نحو

(١ راجع مكتبة المؤلفين من رهبانية القديس فرنسيس

الدرابزين ووقف ثمت تجاه الواعظ شامخ الانف يُرسل اليه نظرًا وقحًا. امّا الواعظ فاتمّ سياق الكلام كأنّهُ لم يرَ للمذكور وجهًا غير ان تلك اللهجة الابويّة الخرّاقة التي كانت تُشيد بمدائح مريم ما لبثت ان انقلبت الى ضدها لان غريغون اخذ يتكلم على عدل الله تعالى والقصاص الذي اعدّهُ لمرتكبي الشكوك واشياع الهراطقة. ثمّ رفّق صوتهُ بغتةً فقال:

« ان من كان في سنّي لا تجوز عليهِ الخديعة ولا يستطيع ان يأمل طول الأيام. وها انا الآن على وشك سفرة جديدة عظيمة الاخطار رغبةً في منفعة طائفتكم واتمامًا لطلب غبطة بطريركم مار بطرس (١. ولا اعرف ايها الابناء الاحبّاء. هل يقسم لي الله ان اعود فاشاهدكم فيناء عليهِ اسألكم ان تسمعوا بانتباه صوت ابيكم الشفيق الذي يخاطبكم لآخر مرّة. حافظوا على وديعة الايمان التي سلّمها اليكم اجدادكم الأمجاد. واياكم ان تتزعزعوا في نهجكم القويم بمسالك بعض الذين انقادوا لصوت الضلال... فان الناس يمضون ويموتون والحقيقة تبقى ولا تموت. كلاّ انّ ذراع الله لم تقصر وهو يعلم متى شاء كيف يعلن مقدرتهُ وقوّتهُ للناس...»

وكان الشعب يسمع باصغاء عظيم هذه الكلمات المؤثرة. وكان غريغون يريد متابعة الوعظ غير انهُ سمع من اقصى الكنيسة بعض دمدمة ثم انقلبت الدمدمة الى صوت جهوري صدر من كل الافواه في وقت واحد وكان الكل يقولون: « معجزة. معجزة. صدق فرا غريغون. السماء تؤيد اقوالهُ. لعنة الله على الهراطقة »

واي شيء حصل يا ترى؟

كانت الشمس كما سبق القول على وشك الغياب ترسل اشعّتها المائلة من الباب الكبير. غير ان نورها ظهر بغتةً في كوة الحنية فائضًا على قدس الاقداس والخورس اللذين كانت الظلمة قبل دقيقة خيّمت عليهما (٢ وهكذا بانت من وراء الخطيب عاقدةً على رأسهِ اكليلًا من نور. فلمّا شاهد الشعب هذا المنظر العجيب تضاعفت هتافاتهم « معجزة. معجزة. غريغون هو يشوع ثانٍ »

وما استطاع غريغون ان يُسكت الشعب المتحمّس الّا بعد الجهد البالغ فلمّا عاد اليهم الهدوء خاطبهم قائلًا:

---

١) تاريخ الدويهي والمشرق ١ : ١٢٦ ٢) راجع واديخ وتواريخ رهبانية مار فرنسيس والمشرق ١ : ٦٠

« يا اخوة ان الله قد شاء دون ريب ان يكافئ ايمانكم فاليه ينبغي ان نرفع جزيل الشكر والحمد. وايأكم ان تنسبوا للمخلوقات ما لا تجب نسبتهُ الا للخالق جلَّ وعلا. هلمَّ الآن نسجد جميعاً مبتهلين الى الهنا الشفيق بان لا يحرم وطننا هذا حمايتهُ الفريدة التي لم يضنَّ بها عليهِ من قبل »

فما قال هذه الكلمات حتى خرَّ جميع الحاضرين جُثيًّا على الركب وجثا ايضاً عبد المنعم محمولاً من مثل الحاضرين بل مدفوعاً الى ذلك بقوة داخليَّة واخذ فرا غريغون صورة العذراء القديمة فبارك بها جمهور السامعين بينما كانوا يترنمون بنشيد الشكر

وبعد ذلك تفرَّق الجميع وفي كل قلب ما لا يوصف من التأثير. وما طال الوقت حتى انتشر خبر هذا الحادث العجيب في كل انحاء لبنان حيث بقي الاهالي يتذكرونهُ لمدة طويلة. امَّا فرا غريغون فاحبَّ لتواضعهِ ان يتخلَّص من تزاحم الشعب عليهِ فترك جبيل خفية في مساء اليوم المذكور ذاهباً الى بيروت حيث اقام ما بين اخوتهِ الرهبان الصغار في ديرهم المعروف بدير المخلص (١

وكان عبد المنعم قد تأثر مما رأى وسمع لكنهُ لعناده وإصراره عاد الى منزلهِ محاولاً ان يُفسِّر ذاك المظهر الخارق لعادة الطبيعة الذي شاهدهُ بعينهِ تفسيراً ملتوياً وينسبه الى انخداع البصر. وقد ذهب ان مخيلة السامعين تهيَّجت بشدَّة حرارة الجوّ فصوَّرت لهم كحقيقة ما كان ناتجاً عن غلط الحواس وخطائها لان كلمات الواعظ الفرنسيسي اختطفت عقولهم فظنوا انهم يشاهدون معجزةً

هكذا كان عبد المنعم يعلِّل هذه الحادثة لرغبتهِ في عدم تصديقها او بالحري لاظهار الجلد والثبات على سوء اعتقاده تجاه وقاء مسرَّاتهِ الذين شاهدوا كلهم كما شاهد هو وكما شاهد سائر اهالي جبيل ومن انضمَّ اليهم من القرى المجاورة ان الشمس بعد ان كانت على وشك الغروب عادت الى الشرق ودخلت من حنيَّة الكنيسة. ولا ريب ان الاصرار هو اثمٌ قبيح ولكنهُ يكون اقبح متى كان صاحبهُ يُغمض عينيهِ عن مشاهدة النور كما فعل عبد المنعم الذي كان من جنس اولئك الناس الذين قال عنهم سيدنا يسوع المسيح في انجيلهِ: « لا يؤمنون لا بموسى ولا بالانبياء حتى لو قام احد الاموات ايضاً فانهم لا يؤمنون » (ستأتي البقيَّة)

١) المشرق ١ فرا غريغون .